

## الفصل الرابع

### فى شئون الحضارة المعاصرة

١٦٤ - تعيب المرأة المعاصرة : تعدد الزوجات • لماذا يرخص به الاسلام ؟

● فى تعدد الزوجات : كرامة المرأة :

يقول الله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فان خفتم الا تدلوا فواحدة » (١) .

● المجتمعات الحضارية المعاصرة غير الاسلامية ترى قصر الزواج على واحدة • ويمارس الرجال فى الوقت نفسه تعددا فى علاقات الصداقة مع المرأة فى خفاء أو فى علن • وعن علاقات الصداقة العديدة مع المرأة هناك كان للرجل الواحد اولاد شرعيون وآخرون غير شرعيين ، وكانت هناك مسئولية معروفة ومسئوليات أخرى ضائعة عن الاولاد : هذه ، وتلك •

والمرأة الصديقة التى أنجبت ولدا غير شرعى وفقدت مسئولية ابيه عنه وعن كرامتها تعيش فى دوامة الحياة تائهة وكارهة ، وتشعر فى قرارة نفسها بالخذلان والابتذال وضياح الاحترام من الغير لها •

ولتفشى العلاقة غير الشرعية بين الرجل المتزوج وامرأة أخرى غير زوجته فى هذه المجتمعات الحضارية المعاصرة غير الاسلامية •• أسقط الزنا من تشريع بعض هذه المجتمعات - كالمجتمع الدانيمركى - كسبب من أسباب الطلاق • وقد كان يعتبر السبب الأول بين أسباب الطلاق فى القوانين السائدة فيها •

ولنعمو نسبة الاولاد غير الشرعيين هناك - وبالأخص فى المجتمع السويدى - نظمت قوانين الأسرة الجديدة وضع الاولاد غير الشرعيين ، وجعلت لهم اعتبارا اجتماعيا مساويا للاولاد الشرعيين •

---

(١) النساء : ٢ •

وهكذا : كان ابتداء المرأة وخيبة أملها في الرجل . وكان تغيير النظرة الى جريمة الزنا ، واعتباره غير موجب للتفريق بين الزوجة وزوجها . . . وكانت زيادة النسبة للأولاد غير الشرعيين زيادة كبيرة : هو نتائج قصر الزواج على واحدة ، مع اباحة تعدد الصداقة لأكثر من واحدة . وهذا بجانب نفاق الرجل المتزوج في علاقته من صديقاته ، وعدم ميالاته بمستقبلهن أو بمستقبل الأولاد القادمين عن هذه العلاقة .

ولولا التطور الصناعي وازدهار الاقتصاد القومي الناشئ عنه في هذه المجتمعات . . . لبرزت هذه المشكلة بوضعها الحالي في صورة أكبر ، ولكانت لها آثار أعمق في ضياع هذه المجتمعات وانحدارها .

● والاسلام عندما يبيح تعدد الزوجات - ولكنه لا يوجبه ولا يلزم به - فانما يرخص به كحل للقضاء على جريمة الزنا ، وللحيلولة دون الطفولة غير الشرعية ، وللالتزام بالمسئولية الشخصية في علاقة الرجل بالمرأة . فثلاثة أهداف يبتغيها الاسلام من اباحته تعدد الزوجات ، بدل الزوجة الواحدة مع الخدينات . وهي أهداف تدفع عوامل الانحلال عن المجتمع الاسلامي ، وتكسب له قوة الترابط ووضوح المسئوليات الفردية . وفي قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (١) . . . يفيد أن تعدد الزوجات في اباحته وفي الترخيص به مقيد بالعدل بين الزوجات . فاذا لم يستطع الزوج أن يعدل بينهن فيجب قصر الزواج على واحدة . ومعنى العدل بين الزوجات عند تعددهن : أن يسوى بينهن في الاعتبار البشري ، والوضع الاجتماعي ، ومستوى المعيشة ، والشعور بالمسئولية نحوهن ونحو أولادهن .

وشتان بين المساواة في كل هذا عند تعدد الزوجات في الاسلام . . . وبين وضع الخدينات والخليلات مع الزوجة الواحدة في عصمة الرجل . فالزوجة تنظر الى الخليلات بازدياء واحتقار . والوضع الاجتماعي هناك أيضا يعتبر هذه الخليلات اللاتي يعشن في ظلام الحياة مع الزوج : مخربات للأسرة ومتطفلات على الرجل . وال خليلات من جانبهن ينظرن الى زوجة عشيقهن نظرة حقد وعدم تقدير .

وواضح إذن : أن في تعدد الزوجات - على نحو ما يبيح الاسلام - كرامة للمرأة بينما في قصر الزواج على واحدة مع اباحة تعدد الصديقات

---

(١) النساء : ٢ .

كما هو الحال فى المجتمعات الحضارية المعاصرة ابتذال للمرأة وحط من كرامتها .

\*\*\*

١٦٥ - انى طالبة بالمدارس الثانوية اردت ان اكون محتشمة فى ملابسى وغطاء الرأس ، اتباعا لتعاليم الدين ، وعرضت الامر على امى ، فعارضت معارضة شديدة ، بحجة : ان هذا سيظهرنى كبيرة السن ، ويثير سخرية الناس ضدى وتمسكت برأيها ، وابى تردد فى الامر : مرة معى ومرة مع امى . وقال لى : ان بقات رجال الدين لا يلبسن كما تريدن انت . فما الراى ؟

● كثرة شيوع الخطأ لا يبرر صحته ، كما لا يبرر اتباعه . فشروع شرب الخمر فى مجتمع لا يدل على أن شربها صواب ويجب اتباعه . بل على العكس : ذبوع شربها دليل على وجود مرض اجتماعى يجب أن يعالج المجتمع منه . وشيوع « الخنفسة » بين المراهقين فى وقت ما لا يدل الا على شيوع روح « اللامبالاة » وعدم الاكترات بينهم ، أكثر منها دلالة على صحة اتجاههم وصواب مسلكهم .

وعلى هذا النحو : ايثار البنات المراهقة أو المرأة الشابة للباس يكشف عن ساقيتها وفخذيها ومواضع الفتنة فيها لا يدل على صحة فهمها للحياة وأخذها بأسباب التقدم فيها . وانما يدل على تمكن « غريزة التقليد » منها . فهى تقلد ولو كان فيما تقلده ما يحمل على السخرية منها وابتذالها .

⊕ والاحتشام فى الملبس على العكس لا يعرض البنات المراهقة أو المرأة الشابة للسخرية . بل يوفر لها الاحترام ، بجانب ما تتمتع به من خفر وحياء . واذ نهى القرآن الكريم عن التبرج فى قوله : « .. ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى » (١) . فانه يؤثر للمرأة البعد عن جو الابتذال ، كما يؤثر لها ان تصون كرامتها كائنى ، لا تعرض نفسها على الرجل كما تعرض السلعة على المشتري ، وانما تدعوه هو يحرص على طلبها كشيء عزيز ينشده . والتبرج هو ان تعرض المرأة من بدنها ما يغرى الرجل بها .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

● وما يجب أن يفعله الانسان لا يتوقف على مجاراة الآخرين له في مباشرته . وانما يتوقف فقط على الاقتناع به . ولو أن كل واحد انتظر في أدائه ما يجب على فعل الآخرين له ما وقع أداء واجب في المجتمع . واذن لا عليك – أيتها السائلة – في أن تحتشمى في ملابسك مهما تبرج غيرك من نظيرتك . بل اصرارك على الاحتشام سيكون عنوانا على استقلال شخصيتك مما يلفت النظر اليك بالاعجاب ، وليس بالسخرية .

أما معارضة والدتك لاحتشامك في ملابسك فهي – كما تذكرين – تخشى أن تكسد سوقك في الاقبال عليك في سن الزواج . وخير لك عندئذ أن يقبل عليك واحد ممن يشعر بمسئوليته في الحياة . من أن تتهافت عليك العشرات ممن لا يعرفون سوى انانيتهم وأهوائهم .

والمقياس في الدين – فيما يجب فعله وفيما لا يجب فعله – هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وليس أولئك الذين يتحدثون باسمه أو أبناءهم أو بناتهم .

\* \* \*

١٦٦ – انى مدرسة أحببت زميلا مدرسا معى حبا شديدا . وسعينا للزواج وتلاقينا كثيرا . وذهب يخطبنى من أهلى فرفضوا مرارا رغم كل الحاح منه . فماذا أصنع الآن ؟ وقد كان يقبلنى عند اللقاء حتى صارت القبلة ضرورة لا غنى لى عنها . وكيف أتزوج مع هذا غيره ؟ وكيف يزول ذنب القبلة واللقاء ؟

● ان السائلة قد تورطت الآن مع زميلها المدرس فى علاقة حب ولقاء ، وتريد أن تتزوجه اما تلبية لنداء الحب أو القساء لظل شرعى على هذه العلاقة . والعقبة فى طريق الزواج هو أهلها أو كما يقال : ولى أمرها .

فهل يرفض أهلها أو ولى أمرها يمكن مع ذلك أن يتم زواجها شرعا بنفسها ممن تحبه ؟

وهل لو أمكن أن يتم زواجها شرعا مع رفض ولى أمرها : تكون مستقره فى حياتها النفسية والزوجية ؟

● أما عن السؤال الأول فيجب فى عقد الزواج امران ضروريان . الأمر الأول اذن المرأة . لما جاء فى الحديث : « لا تنكح الأيم حتى تستامر

( أى لا تزوج الشيب حتى يؤخذ أمرها وأذنها ) ولا تنكح البكر حتى تستأذن .  
قالوا : يا رسول الله وكيف أذنها ؟ قال : أن تسكت ، . الأمر الثانى وجود  
شاهدى عدل . لحديث جاء فى ذلك : « البغايا اللاتى ينكحن أنفسهن ( أى  
يزوجن أنفسهن ) بغير بينة ( أى بغير من يشهد على الزواج ) . ولذا يعتبر  
الزواج باطلا من غير شاهدى عدل .

وأما وجود ولى الأمر فى عقد الزواج فأغلب الفقهاء يرونه ضرورة فى  
صحة العقد . لما ورد فى حديث : « لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة  
نفسها » . ولقوله تعالى : « وانكحوا الأيامى منكم (١) ( أى زوجوا الشيبات  
من بينكم ) » . فأضاف تزويجهن الى الرجال . ولكن الحنفية لا يشترطون  
وجود الولى مطلقا فى عقد الزواج ، ارتكنا على حديث : « الشيب أحق  
بنفسها » .

والواقع أن وجود : الولى أو الأهل . . والشاهدين فى عقد الزواج ،  
مع وجود إذن المرأة وأمرها فى الزواج . . يعتبر تعبيرا واضحا عن القيمة  
الاجتماعية لهذا العقد ، كما يعتبر دليلا مؤكدا للرضاء من جانب الطرفين فى  
العقد . وأشهار الزوجية عندئذ يكون اشهارا كافيا .

● وأما عن السؤال الثانى وهو صحة عقد زواج السائلة مع من تحبه  
من زملائها المدرسين ، من غير رضاء أهلها أو ولى أمرها - بناء على الأخذ  
برأى الحنفية - فانها ان اشأت بهذا العقد علاقة قانونية وعاطفية مع انسان  
جديد عن الأسرة وهو زوجها . . الا أنها ستفقد علاقتها بأسرتها ولو الى  
حين . وفى هذا الوقت الذى تكون علاقتها بأسرتها ضعيفة وغير مرضية :  
تشعر بالقلق النفسى بسبب ضعفها . ولا تسد مسدها أية علاقة أخرى جديدة ،  
مهما كانت فى بدايتها قوية .

والأولى للسائلة أن تحاول بلباقة اقناع أهلها بزواجها من زميلها  
المدرس . . أو تحاول هى أن تقيم فى هدوء : الأسباب التى يذكرونها لعدم  
موافقتهم ، أنه ، لعلها تقتنع نفسيا بصحتها . وعلى أية حال لا تترك للتورط  
فى علاقتها مع زميلها : أن يأخذ طريقه ، فيحجب رؤية الواقع . لأنها هى التى  
ستخسر فيما بعد ، لو انكشف هذا الواقع على حقيقته .

\*\*\*

(١) النور : ٢٢ .

١٦٧ - هل يجوز للفتاة أن تتمنى شخصاً معيناً تدعو الله أن يكون من نصيبها ؟ وهل يجوز لها أن تصبه ؟

① من سن السابعة عشرة ٠٠ الى سن الخامسة والعشرين ، تكثر أحلام اليقظة عند الشباب . ويساعد على كثرة هذه الأحلام لديهن - بجانب تطلعات الشباب الى الزواج فى هذه السن - مشاهدة الأفلام السينمائية ، وفيها أبطال السينما فى أدوارهم المختلفة ، ولهم مظاهر الحياة المترفة : يسكنون فى قصور ٠٠ ويركبون السيارات الفخمة ٠٠ ويتنقلون بين المطاعم الشهيرة ٠٠ وأيديهم سخية فى العطاء ٠٠ الى غير ذلك من المظاهر الخادعة . بالإضافة الى استخدام وسائل الترفيه فى عرض أنفسهم : فى صور جميلة وأنيقة .

وليس هناك حرج اطلاقاً من أن تعيش الفتاة فى حياة الأحلام فترة أو فترات . وقد يكون دخولها هذه الحياة : هرباً من واقع اليم ، وبذلك يكون علاجاً لحالة نفسية مؤقتة عندها .

ولكن بتحليل تلك الأحلام ينتهى أمرها ، الى : أن الاستغراق فيها يبعد الفتاة عن واقع الحياة ، كثيراً ، أو قليلاً ، حسب طول المدة التى تعيش فيها ٠٠ وربما تسبب لها صدمة نفسية عنيفة ، عندما ينكشف لها خداع الأحلام والأمانى التى تمنتها ، والتى نسجت منها خيوط الحياة للأسرة المقبلة لها . فترى : أن كل شيء قد أصبح ولا واقع له تلمسه بيدها .

② على أنه من جانب آخر : إذا ارتبنت الفتاة - فى أمانيتها وأحلامها - بشخص معين ، وأحبه ، وسعت بالدعوات الى الله ، أو بغيرها ، للظفر به ، ماذا تصنع لو لم تظفر به ؟ وماذا يكون وضعها أمام نفسها أولاً : اذا سعت بواسطة لا توفر لها الكرامة ؟ وعلى حساب : من ، ومن حياة : من ، يكون هذا الوقت الذى قد تبدد وذهب فى غير صالحها ؟ - ان ذلك كله من غير شك : عندما هي - ومن يديرها : أنها لو حصلت عليه فى النهاية تفاجأ مرة أخرى فى حياتها الزوجية : أنه شر من تعاشره امرأة .

③ والاسلام لا يرى للمرأة : أن تسعى وراء الرجل ، فى الأحلام ، أو فى اليقظة على حد سواء . ويرى على العكس : أن الرجل هو الذى يجب أن يسعى الى المرأة ، ولها الخيار فى قبوله أو فى رفضه . وهناك الخطبة ٠٠ وهناك المهر : كلاهما من الأمارات الدالة على وجوب سعى الرجل الى المرأة ورغبته فيها . واذا كان للمرأة الخيار : فى قبول الرجل ، أو فى رفضه : فهنا شبه ضمان فى عدم خداعها . لأنها ستتابع احساسها الداخلى بالكرامة

أو المحبة : فى رفضه أو فى قبوله . . كما ستتبع سبيل التروى ومشورة الأهل  
فيما تقرره نحوه . وهنا كذلك ضمان أكيد لكرامتها . لأنها لم تمتن بالسعى  
والجرى وراء شخص خيل اليها أنها تحبه . . ثم كانت خيبة أملها فى أنها  
لم تظفر به ، أو كانت ذاتها بما أعطته من كرامتها .

❶ أما استجابة الله للدعوات فذلك مرهون : بأن تكون الدعوات مسابرة  
لما ينصح به . وقد نصح فى علاقة الأسرة المقبلة : أن يكون تكوينها على  
أساس من سعى الرجل نحو المرأة ، وليس العكس .

\* \* \*

١٦٨ - عاشت امرأة معاشرة الأزواج ، مع أنها متزوجة ، ولها ثلاثة  
اطفال . ثم طلقها زوجها - أب الأولاد - بسببى . والآن لها رغبة  
فى الزواج منى ، مع أنى متزوج بامرأتين أخريين . فهل أتزوجها حتى  
يغفر الله لى ؟ أو ماذا أفعل ؟

❷ هل لم تزل عند السائل بقية من الضمير الآن ؟ . هل لم يزل يخشى الله .  
ويسأل عن مغفرة الله بعد كل ذلك ؟ : بعد أن حطم أسرة أخرى ففرق بين الزوج  
وزوجته . . وبعد أن حرم الأولاد من عطف أمهم ، منذ أن غادرت منزل الزوجية  
. . وبعد أن أربك والدهم فى شئونهم ، وجعله فى حيرة وتردد : أتزوج  
بأخرى . وربما عندئذ يسيء الى اولاده . . أم يمسك عن الزواج وعندئذ ربما  
لا يستطيع أن يتصرف التصرف المناسب معهم . ولا التصرف السليم مع نفسه .

هل يسأل الآن عن مغفرة الله له : أيسأله المغفرة : عن ارتكابه جريمة  
الزنا حتى عرف شأتها بين الزوج والناس ؟ . أم يسأله المغفرة عن خيانة  
الزوجتين معه فى غيبتهما ؟ . أم يسأله عن المصير السيء الذى صارت  
اليه الزوجة المحطمة ، وهى ضعيفة الآن أكثر من أى وقت مضى فى حياتها ؟ .

❸ وأعتقد من أجل ذلك : أن الأثر الباقى فى نفسه من خشية الله  
والإيمان به ، ضئيل . والمشكلة لديه هى مشكلة اجتماعية ، قبل أن تكون مشكلة  
الصلة بينه وبين ربه : هى مشكلة الثلاث زوجات ، لو تزوج السيدة المطلقة من  
زوجها بسبب جريمة الزنا : كيف يعاشروهم ويوفق بينهم ؟ . كيف ينفق عليهم  
ويدير مصدر الانفاق ؟ . أو كيف يترك السيدة المطلقة وشأنها فى حال عدم  
تزوجها ؟ أو أيا من الزوجتين معه يطلقها لتحل الزوجة الجديدة محلها ، اذا  
لم يستطع أن يحتفظ بثلاث زوجات ؟ .

أما مشكلة الصلة بينه وبين ربه فلا يسويها : زواجه بالسيدة المطلقة .  
فهو عاص معصية مضاعفة . والتوبة عن معصيته ليس من السهل قبولها عند  
الله ، بإعلان التوبة . . والاستغفار له . وإن كان ذلك شأن الله  
سبحانه وتعالى . ولكن عظم الجريمة : يتطلب الطاعة المطلقة منذ الآن :  
لأوامره ونواهيه . . كما يتطلب محاولة اصلاح آثار جريمته ، بقدر ما يمكن  
وهى من الجرائم الكبرى التى تتعلق بحق المجتمع ، قبل أن تتعلق بحق فرد . .  
أو فردين . . أو جملة من الأفراد ، نهى الله عنها فى سورة الاسراء . . فنهى  
عن الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة ، وساء سبيلا » . . ونهى  
عن القتل بقوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » . . ونهى عن  
اكل أموال الناس بالباطل فى قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى  
احسن » (١) . . وفى جعل القرآن الجلد : عقوبة للزنا فى قوله : « الزانية والزانى  
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رافة فى بين الله ، ان  
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢) .  
لم يكن ذلك قسوة منه - ولا همجية كما يدعى - وانما لآثاره الاجتماعية  
الشنيعية على المجتمع فى أمره . ولذا تطلب الآية هنا : أن يشهد عذاب الزانى  
والزانية طائفة من المؤمنين . لأن حق المجتمع تعلق بهذه الجريمة ، ككل .  
وليست هى جريمة الرجل والمرأة وحدهما .

\*\*\*

١٦٩ - أحببت فتاة وأحببتنى ، ولكن لم نوفق للزواج . وتزوجت هى بغيرى ،  
وافترقنا . ثم بعد عشرين عاما التقينا وأعدنا الصلة ، بعد ما علمت :  
أن زوجها توفى ، وهى الآن أرملة وتتقاضى معاشا صغيرا . وعرضت  
عليها الزواج فرفضت بسبب أولادها وكلام الناس . وقالت لى : انسا  
واهبة نفسى لك أمام الله ، وهو يعلم أحوالنا . فهل معاشرتها حلال ؟

● ان تعبير الأرملة : بانها واهبة نفسها لمن أحبته قبل زوجها ، وتحببه  
الآن بعد وفاة هذا الزوج . . ليس ايجابا منها بالزواج منه . بدليل أنها رفضت  
الزواج منه ، عندما عرضه عليها ، كما جاء فى السؤال . وانما هذا التعبير  
منها كناية عن عدم معارضتها لما يفعله بها ، ولما يطلبه منها ، ولو كان معاشرة  
جنسية . ولذا يسأل المسائل فى سؤاله : احلال معاشرتها أم حرام ؟ .

(١) الاسراء : ٣٢ - ٣٤ .

(٢) النور : ٢ .

وإذا لم تكن العلاقة بينهما هي علاقة الزوجية . . فمعاشرتها اذن حرام .  
 وربما يظن : أن رضا الطرفين وموافقتهما على المعاشرة الجنسية . . يعتبر  
 زواجا عرفيا . . أى زواجا لم يشهر ولم يوثق . ولكن الزواج العرفى هو  
 الذى لم يقيد فحسب فى الوثائق الرسمية ، واقتصر فيه على صيغة الايجاب  
 والقبول بين الزوجة والزوج : فى حضور الشاهدين . ويعتبر وجود الشاهدين  
 شرط صحة فى عقد الزواج ، سواء : أكان موثقا ، أو غير موثق . ويسدون  
 الشاهدين يعتبر العقد باطلا . لأن وجود الشاهدين : ضمان لاعلام الزوجية ،  
 وبالتالي ضمان : لحقوق الزوجين وما ينتج لهما من اولاد ، وأخطار للمجتمع  
 بالعلاقة الأسرية الجديدة . ولذا يروى : « لا نكاح ( أى زواج ) الا بشهود ،  
 . . كما يروى عن ابن عباس : « لا نكاح الا ببينة » .

أما زواج الخدان - وهو الزواج فى غيبة الشهود ، وبين الرجل والمرأة  
 فحسب - فهو زواج السر . ويشبه الزنا . وقد رد عمر بن الخطاب زواجا  
 لم يشهد عليه الا رجل وامرأة - بدلا من رجلين - واعتبره : نكاح سر ، وقال :  
 لا اجيزه .

● والتقاليد أو العادات التى تحول دون تنفيذ نظام اسلامى على وجهه  
 الصحيح . . يجب عدم الاعتداد بها ، فاذا كان الاولاد ينظرون الى زواج  
 والدتهم بعد عشرين عاما مرت عليها من زواج سابق . . أو اذا كان الجيران  
 ينظرون الى زواج الأرملة من جديد . . نظرة تقوم على الاستنكار . . فيجب  
 أن لا تدفع نظرة الاستنكار هذه : الى الوقوع فى عصيان ومخالفة لمنهج  
 الاسلام .

ان أهم شيء فى الزواج - فى نظر الاسلام - هو العلانية . لأنه يرتبط  
 به حق المجتمع ، مع ارتباط حق الزوجين به . وان السرية فيه تحوله الى  
 مخادنة . . وعشرة سرية ممقوتة عند الله والناس معا : « يستخفون من الناس ،  
 ولا يستخفون من الله وهو معهم » ( ١ ) . ولهذا السائل الذى تمكن حبه من  
 قلب هذه الأرملة : أن يرعى الله فى معاملتها : فاما أن يبتعد عنها كلية . . أو  
 يعقد عليها فى علانية ، ان كان يراقب الله فى تصرفاته .

\*\*\*

( ١ ) النساء : ١٠٨ .

١٧٠ - فتى وفتاة اتفقا على الزواج بعد اتمام الدراسة ، ويتقابلان فى مكان عام . والأهل ( الطرفين ) غير موافقين على الزواج الا بعد الانتهاء من الدراسة . فهل لقاؤهما هذا حلال ؟

● هل اتفاق الفتى والفتاة هنا واتفاق الأهل معهما على الزواج بعد الانتهاء من الدراسة يعنى : الاتفاق على الخطبة الآن ، مع ارجاء عقد الزواج لوقت آخر ، هو الانتهاء من الدراسة ؟ . ان كان ذلك هو المقصود فلا يحل لهما الآن الاختلاء فى مكان عام أو خاص . لأن ذلك خارج عن حدود الخطبة ، وداخل فى نطاق ما يبيحه الزواج .

● وإذا كان اتفاقهما هنا على الزواج - والأهل معهما - يعنى : أنه قد صدر الإيجاب والقبول منهما الآن ، مع تأخير الدخول فى الزيجة الى اتمام الدراسة . فلقاؤهما مباح فى أى مكان يلتقيان فيه . لأنهما الآن زوجان ، شرعا .

● وإذا كانت النوايا طيبة وصادقة بين الفتى والفتاة والأهل ، فليس هناك أى مانع أو حرج الآن فى عقد الزواج اذا لم يكن قد عقد . لأن عقده يضمنى الشرعية على لقائهما فى المكان العام . ويجنبهما حديث الآخرين عنهما . وما يخشى - لو عقد - من تكرار اللقاء والحيلولة دون الدراسة الجادة بسببه ، أو التورط فى حادث يريدان تجنبه فى الوقت الحاضر . . فان لقاءهما الآن فى المكان العام قد يجر الى لقائهما فى مكان خاص ، وربما يجر الى الجنوح والانزلاق الى ما يريدان تجنبه فى كل وقت فى حياتهما .

والحجة القائمة الآن اذن من أن عقد الزواج سيشغلها عن الدراسة هى حجة واهية . لأن المعوق عن الدراسة هو التلاقى . والتلاقى واقع بالفعل . وليس هو عقد الزواج .

● والسبيل القويم فى حياة الشاب والشابة هو التفرغ التام للدراسة ان سلكا طريقها ، دون خطبة ، أو عقد زواج أو الدخول فى زيجة ، أو فى صحبة وصدائة ، أو ما شاكل ذلك : مما يجمع بينهما فى حديث : الأمومة ، والطفولة ، ومستقبل الأسرة .

ان جو المراهقة - وهو جو الشباب - ليس جوا باردا . انه قد يلهب بحرارته مستقبل الانسان فيحوه الى ركام أو رماد . ومن الخير أن لا يقدم

- للشباب ما يشعله نار أخرى ، حتى يستطيع السيطرة عليه بعقله وقلبه معا .
- وهذا الوضع لا يتم الا اذا استقل بنفسه وأصبح ذا قدرة على الاتفاق على شريكة معه فى حياته او مشاركتها فى الاتفاق سويا .

\*\*\*

١٧١ - ما حكم الدين فيما يفعله بعض الشبان من ارتداء ملابس تشبه ملابس النساء ، ومن اطالة شعورهم ، وسوائفهم ؟

● للعرف دخل فى تمييز الرجل عن المرأة ، كما للطبيعة دخل كذلك فى تمييز أحدهما عن الآخر ، وأمارات الذكورة والأنوثة بين النوعين - من طبيعتهما - واضحة . فصدر المرأة يختلف عن صدر الرجل ، وصوتها يختلف عن صوته ، ومشيتها تختلف عن مشيته . فمشية المرأة يغلب عليها التردد والانعطافات ، بينما مشية الرجل يتحكم فيها الاندفاع والاقدام .

والعرف - فيما جرى ويجرى عليه - سواء فى اللبس أو فى الزينة ، أو فى الكلام يحاول أن ، ينمى فى المرأة خصائص الأنوثة ، وفى الرجل خصائص الرجولة ، حتى ينكشف الفرق بينهما فى جلاء ، وبذلك يقبل أحدهما على الآخر فى رغبة اللقاء ، ان لم يكن فى لهفة فيه .

• تلك سنة الطبيعة بين المرأة والرجل ، وهذا هو العرف كذلك بينهما . وهدف الطبيعة كهدف العرف ، هو : محاولة ابعاد الابتذال بين الرجل والمرأة ، وتوطيد علاقة القبول والمسرة بينهما ، كى يستمر النوع الانسانى فى بقائه ، وكى تتغلب الأسرة أيضا بالمشاركة بين الرجل والمرأة ، على اجتياز الأزمات والعقبات فى انجاب الطفل وحضانتها وفى الظروف السيئة التى قد تمر بها .

● ونظرة الاسلام الى العلاقة بين الرجل والمرأة هى نظرة مساوقة لطبيعتيهما وما بينهما من اختلاف وفروق . فإذا أحل للمرأة أن تتزين فى حليها بالذهب ، وأن تلبس الحرير وما يشبهه فى رفته ، وأن تصبغ شعر رأسها ، وأن لا تبدى من جسمها الا ما يظهر عادة فى سيرها أو ما يعينها على كشف الطريق وتفادى أخطاره . . اذا أحل الاسلام ذلك للمرأة - دون الرجل - فانه يهدف الى جعل المرأة مقبولة لدى الرجل والى حرصه على اللقاء بها ، بما تبدو فيه من رقة وزينة .

والاسلام اذن يحرص على بقاء الفرق بين الانوثة والذكورة جليا  
وواضحا .

اذ كلما كان هذا الفرق واضحا بينهما كلما كانت الالفه والموده والرغبة  
فى المعاشرة امرا مترقبا .

● فاذا جاء عرف فى عهد ما وحاول ان يضعف الفرق بين الرجل والمرأة  
فنصح الرجل بأن يكون على غرار المرأة فى التثنى فى مشيته وحركته ، وفى  
تقليدها فى الحديث والعواطف ، وفى لبسها وزينتها وحليها ، وفى التخث  
والتشبه بها على العموم . . اذ جاء عرف فى عهد ما وحاول ان يصنع بالرجل  
ما تصنعه المرأة فى نفسها ولاغراء الرجل بها ، فان هذا العرف يكون محاولة  
لمسخ رجولة الرجل وتحويله الى انثى ذات شارب ، يخلو صدرها مما يجعلها  
ذات عطف وحنان وانفعال . وعندئذ لا يكون رجلا ، كما هو ليس بانثى فى  
حقيقة أمره . ولذا يحرم الاسلام أن يتشبه الرجل بالمرأة ، والعكس بالعكس .  
اذ يروى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المختنين من الرجال ، والمترجلات  
من النساء ، ولعن الرجل أن يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل » .

● وحركات الشباب فى العالم التى تحاول اليوم أن تطيح بالأعراف  
والتقاليد السليمة ، وأن تنبذ القانون والأخلاق والدين ، كى تمارس الانطلاق  
فى كل ما تاتى به فى غير رقابة من شىء ما ، حتى من ضمير . . هذه الحركات  
لا تعبر عن منطق الحياة الانسانية . انما هى شذوذ وتعاريج فى خط سير  
الحياة ، دفع بها طغيان الحياة المادية ، والصراع فيها ، والقلق من الغد ،  
ومخاوف الهلاك السريع من ادوات الدمار العاجل التى اتى بها التقدم العلمى  
فى الحضارة الصناعية المعاصرة .

\*\*\*

١٧٢ - انا فتاة عمرى ثمانية عشر عاما ، وطالبة بمدرسة المعلمات . وقد  
عاهدت الله أن لا أحب احدا من الشباب . ولكن علمت من احدى  
رفيقاتى : أن قريبا لها يحبني باخلاص ، وقد ارسل الى خطابا بذلك ،  
فمال قلبى اليه ، وكدت ابادله الحب الشريف . فهل هذا حرام ؟

● وعد السائلة : بانها لا تحب احدا من الشباب . . هو فى الغالب  
نتيجة لازمة نفسية ، عقب خيبة أمل . وقد يكون هذا الوعد ايضا تعبيراً عن  
صراع داخلى فى علاقتها بزميلاتها . ولذلك هو وعد غير عملى وغير واقعى ،  
لعب فيه التصور والوهم دورا كبيرا . . أى هو وعد لا طاقة لها على تحقيقه .

بدليل : عندما اتصل بها أحد الشبان بطريق المكاتبه مال قلبها اليه ، كما تذكر  
فى سؤالها .

● أما ما تسال عنه الطالبة هنا من الحرمة . فان كانت تريد أن تذكر :  
أنها حنثت فى عهدا لله ويمينها به ، بعد ما مال قلبها الى الشاب المراسل . .  
فعهدا ويمينها فى الأصل كان على ما لا تستطيعه . فهو كاليمين المعلق على  
أمر غير مقدور . وبذلك لا ينعقد من منذ البداية .

وأن كانت تريد حرمة مبادلة الميل القلبي لمن بدأها بإشارة العواطف ،  
وربما نافقها فى حديثه عنها . . فالأمر عندئذ يتعلق بوضعها وبوضعه : هل  
يستطيعان الزواج قبل أن يحمل ما يسمى بالحب وزر العلاقة بينهما ؟ . هل  
يستطيع حبيبها الشاب الآن أو فى المستقبل القريب : أن يتحمل مسئولية  
الأسرة الجديدة منه وممن يسميها حبيبته ؟ أم أن الأمر لا يتجاوز دور المراهقين  
فى رسم صورة لعشيق لا يعرف طريقه الى الواقع ؟ .

ان مبادلة الميل القلبي لا يستطيع أحد أن يحكم عليه بالحرمة الا اذا  
أصبح طريقا لعبث تتحطم معه كرامة الشابة وانوثتها أيضا ، قبل كرامة  
الشاب ومسئوليته ، ومستقبله .

ولكن النصح للسائلة أن تفرغ أولا من رسالتها فى التعليم ، ولا تعرض  
حياتها لهزة قد لا تحتملها ، قيل أن تباشر مسئوليتها كمرنية ، أو زوجة ، وأم .  
ورفيقتها التى تتحدث عنها والتى هى واسطة الحب الجديد ، هى شيطانيتها ،  
فى قصد أو فى غير قصد . فلتوفر الوقت ، والجهد الآن الى الدراسة . ولها  
بعد ذلك فى حياتها امتداد زمنى واسع تستطيع فيه أن تكون زوجة سعيدة  
مع من تريده وتميل اليه . فالشباب كثير والحمد لله ، والتكاثر البشرى فى  
تزايد .

\* \* \*

١٧٣ - ما المقصود بالعلم الذى حث عليه الاسلام ؟ هل العلم بالفقه  
والتوحيد مثلا ؟ . واذا كان كذلك فما الرأى فى العلوم الأخرى  
من : تاريخ . . وقانون . . وفلسفة . . الخ ؟ . وهل للدارسين  
لهذه العلوم المكاتبه التى بينتها احاديث الرسول صلى الله عليه  
وسلم ؟ .

● العلم الذى يمتدحه الاسلام : ما يوصل الى الحق وهو الله سبحانه

وتعالى ٠٠ والى الصراط السوى فى السلوك ٠٠ ويعرف الحق عن طريق كتاب الله فيما ينطق به ٠٠ وعن طريق كونه فيما يعطيه من دلائل تدل عليه وحده ٠ ويعرف الصراط السوى فى السلوك عن طريق الهداية الالهية التى جاءت بها رسالة القرآن ٠ ان تضمنت ما ينهى الله عنه أو ما يندد به ٠٠ وما يأمر به ، أو يرغب فيه ٠ وما ينهى عنه ويندد به هو ظواهر السلوك المادى الذى يقزم على المبادلة وحدها ٠ وما يأمر به أو يرغب فيه هو السلوك الانسانى الذى يقوم على الاعطاء دون الأخذ ٠

فاذ يقول الله تعالى : « كلاب لا تكرمون اليتيم ٠ ولا تحاضون على طعام المسكين ٠ وتأكلون التراث أكلا لما ٠ وتحبون المال حبا جما » (١) ٠ فانه يصف سلوك الماديين من عدم الاعطاء فى غير مقابل ٠

واذ يقول : « ويظلمون الطعام على حبه : مسكينا ، ویتيما ، وأسيرا ٠ انفسا ظلمتكم لوجه الله ، لا تریب منكم جزاء ولا شكورا » (٢) ٠ يصف الانسانيين أو الأبرار ٠

وما جاء فى القرآن : تعريفا بالله سبحانه ٠٠ أو تحديدا للصراف المستقيم فى السلوك : عكف عليه علماء المسلمين واستخلصوه فى قواع ٠٠ وأحكام ٠٠ وأدلة ٠٠ ومناهج للدفاع والرد ٠ وتكونت علوم مما استخلصوه من كتاب الله ٠ وأصبح المسلمون يعرفون فيما بينهم : علم الفقه ، وهو علم الأحكام فى العبادات والمعاملات ٠٠ وعلم التفسير ، وهو علم التوضيح لما فى كتاب الله : ان فى جانب اللغة ، أو العقيدة ، أو الشريعة ٠٠ وعلم الكلام أو التوحيد ، وهو علم الرد للشبهات التى توجه من الحاقدين على دين الله ، وخاصة تلك التى قد تتصل بذات الله سبحانه ٠٠ وعلوما أخرى كثيرة ٠ فهذه العلوم الشرعية والعقيدية تبصر الانسان المؤمن : بكتاب الله ٠ وعن طريق كتاب الله يزداد ايمانه ، كما يزداد استقامة فى سلوكه ٠ وهذه العلوم القرآنية هى علوم الدين ٠

٥ وبجانب كتاب الله للتعرف على الحق وهو المولى سبحانه وتعالى : يوجد هذا الكون الذى نعيش فيه : توجد الأرض ٠٠ والبحار ٠٠ والسماء والكواكب ٠٠ وتوجد الجبال والسهول ٠٠ وتوجد الأمطار ، والأنهار ، والآبار ٠٠ وتوجد الزراعة والانععام ٠٠ كما يوجد الحديد والصناعة منه ٠٠ ويوجد الانسان فى خلقه وتركيبه ٠

(١) الفجر : ١٧ - ٢٠ ٠

(٢) الانسان : ٨ - ٩ ٠

والله اذ يطلب عن طريق الرسول عليه السلام الى الناس : أن يؤمنوا بما فى كتاب الله : يطلب اليهم فى الوقت نفسه : أن ينظروا - كجزء منه - الى ما فى الكون من نظام .. وتديير .. ونعم لا تحصى فمثلا قوله تعالى : «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين \* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين \* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (١) ومن النظرة غير المتحيزة الى ما فى هذا الكون : يصل الانسان حتما الى الحق جل جلاله فى وحدته فى الألوهية .

والنظرة الى ما فى الكون : تتعدد وتتشعب ، حسب تعدد جوانبه . وعن النظرة الى كل جانب والتجربة فيه ان أمكن : ينشأ علم أو جملة من العلوم ، تأخذ أسماء معينة حسب موضوع النظرة ، والبحث ، والتجربة . وهكذا : العلوم الطبيعية .. والعلوم الانسانية وفيها الفلسفة ، والقانون ، والتاريخ .. والعلوم الاجتماعية .. وغيرها : علوم تبحث فى هذا الكون .. وتنتهى فى بحثها حتما الى الايمان بوجود يحكم التدبير : خلق هذا الكون ، ويمسك نظامه . فاذا لم تنته هذه العلوم اليوم .. فستنتهى غدا ، أو بعد غد . ومن أجل ذلك علوم الكون متطورة ، وقابلة للتغيير . لأنها لم تنته بعد .

وهكذا : علوم الكون رافد آخر يوصل الى الايمان بالله . وهكذا : ما جاء فى كتاب الله يوافق ما جاء فى كونه . فان بدا هناك عدم توافق : فذاك يرجع الى الانسان الذى لم يرتفع بعد الى رؤية التوافق بين النوعين . اذ كلاهما مخلوق لله سبحانه : هذا كتابه .. وذاك كونه .

وتقديرا لنوعى العلم : علم الدين .. وعلم الكون : يؤثر عن الرسول عليه السلام قوله فى الأول : « من يزد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .. وقوله فى الثانى : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » .

\*\*\*

١٧٤ - هل التمدن عقبة فى سبيل الدين ؟

أو الدين عقبة فى سبيل التمدن ؟

● اذا قصد بالتمدن التهذيب والسمو فى السلوك الانسانى . والارتفاع

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

عن الأنانية الطاغية فى المعاملة فالدين مصدر هذا التمدن . نقرأ قول الله تعالى على سبيل المثال :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم : الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب ، فأولئك هم الظالمون . »

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، ائحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، »

« واتقوا الله ان الله تواب رحيم . »

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » (١) .

فهذه الآيات تنادى بتأكيد الاعتبار الانسانى لكل فرد ، وبعدم انتهاك حرمة فى حضوره أو فى غيبته على السواء وبمساواة الجميع فى خصائص الطبيعة البشرية ، وبجعل التفاضل بين الأفراد فقط فى مستوى التهذيب والسلوك الكريم والاخاء والمحبة ، الذى يعبر عنه هنا بـ « التقوى » .

وكثيرا من مثل هذه الآيات يوضح مدى السلوك الحسن الكريم ومدى التصرف القائم على الاعتداء وطفيان الأنانية وانتهاك حرمان الآخرين .

● وان قصد بالتمدن الصناعة والتطور الحضارى المادى والتقدم التكنيكي فالدين كذلك يحث عليه ويدفع اليه . نقرأ قول القرآن الكريم :

« لقد أرسلنا رسلا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، »

« وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، »

---

(١) الحجرات : ١١ - ١٣ .

«ان الله قوى عزيز» (١) .

٠٠٠ فسوى القرآن فى هذه الآية بين كمال الله والحديد واثريهما فى حياة الناس .

فان كانت الهداية والعدل من نتائج الايمان بكتاب الله فهناك المنافع من استخدام الحديد تنتهى جميعها الى القوة والعزة فى الحياة .

والحديد - وما يشبهه من معادن - مصدر الصناعة وموضوع التطبيق العلمى الهندسى وبناء على ذلك اذا اغفل الانسان كتاب الله او اغفل الصناعة فى حياته فقد اضعف نفسه واضعف أمته واذا اغفلها معا فتلك هى الكارثة التى لا يستطيع التغلب عليها .

● وان قصد بالتمدن الانحلال فى الأخلاق والسلوك أو الرفاهية على حساب الآخرين أو التسلط وانتهاك الحرمات الشخصية للآخرين ٠٠٠ أو ما شاكل ذلك مما يؤذى الانسان ويحط من شأن الكرامة البشرية فالدين عندئذ عقبة فى سبيل التمدن ، والتمدن أيضا عقبة فى سبيل الدين .

« وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ٠٠٠ » (٢)

« أفحكم الجاهلية يبغون ،

« ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » . (٣)

\*\*\*

١٧٥ - أثناء الألعاب الرياضية ترتدى البنات « الشورت » وفى هذا كشف لبعض أجسامهن ، فماذا يجب ، هل يتركز الرياضة مع ما فيها من فائدة ، أو ماذا ؟

● أى نوع من الثياب ترتديه البنت الأندونيسية ، أو الهندية ، أو الباكستانية عند ممارستها الألعاب الرياضية وهى فى سن المراهقة ؟ هل ترتدى « الشورت » أم السروال الطويل ؟

(١) الحديد : ٢٥ .

(٢) المائدة : ٤٩ .

(٣) المائدة : ٥٠ .

وهل يجب أن تمارس البنات في سن المراهقة الألعاب الرياضية « بالشورت » على قارعة الطريق العام ، أم يمكن أن تكون ممارستها عندئذ داخل حديقة المدرسة ذات السور البنائي الكثيف المشذب ، ان كانت الحديقة على طريق عام ؟

فاذا كان التقليد الغربي للبنات المسلمة في سن المراهقة في ممارسة الرياضة بالشورت ، أمرا ضروريا يدعو اليه النشاط البدني لها وتنسيق قوامها ، اليس من الأجدر قبل ارتداء الشورت وممارسة بعض الألعاب الرياضية به أن تكون المدرسة لديها بعض العادات في نظام الأكل والشرب والتغذية بصفة عامة ، مما لو أتبعها كان لها قوام الهيفاء ، واستمر لها هذا القوام مع نشاط البدن بعد المدرسة أيضا ، وهي عاملة ، أو زوجة ، أو أم الى آخر سن حياتها .

ان ابن خلدون في مقدمته يشير الى السبب الذي كان من أجله الفرق واضحا بين الغزال في ضموره ، وحسن قوامه ، وسرعة حركته ، والماعز في تركزه وعدم اغراء منظره في القوام وبطء حركته - مع انهما من فصيلة حيوانية واحدة - ويجعل السبب في نوع الغذاء واختلافه بين الجاف والرطب . وفي كمية الماء التي تدخل معدة كل منهما .

وبعد ذلك نفترض :

- ان مباشرة الألعاب الرياضية للبنات في سن المراهقة في المدرسة امر ضروري ،
- وان « الشورت » ضرورة حتمية كذلك لممارسة هذا النشاط الرياضي ،
- وان الهواء الطلق والعراء في ممارسة هذا النشاط تتطلبه الحكمة منه .

... اليس ما يكشف عنه « الشورت » التي ترتديه البنات المراهقة اثناء قيامها بالحركات المختلفة في الهواء الطلق والعراء يذهب بحيائها وخفرها ، وينمي عندها الاحساس بأنه : ليس لبدنها حرمة . وليس فيه موضع سر تحرص عليه ؟

... واليس أيضا ما يكشف عنه « الشورت » من أسرار البدن عندئذ كفيل بأن يجعل البدن كله مبتذلا لا لدى الشاب والرجل على السواء ان تعود على رؤية المكشوف من أسرار الجسم ، وان آثار الاغراء والفقنة أول الأمر ؟

••• اليس حياء المرأة مطلوبا فى حسن معاشره الرجل لها ؟

••• اليست المرأة هى التى تدفع الثمن عندما تبثزل من الرجل ؟

ان « تبرج » الجاهلية الأولى ليس الا الكشف عما يجب على المرأة ان تستره مما يعد سرا خاصا بها وحدها ، وبها وبرجلها بعد الزواج والدخول بها .

ان الحضارة المادية المعاصرة دعت المرأة الى الكشف عن مواضع الاغراء فيها والى تجسدها ، امعانا فى تلهف الرجل عليها ، ولكن ما تكشف عنه حمله على الامعان فى ابتذالها والانصراف عنها ، واصبحت الزوجية مشاركة فى نفقات المعيشة او مشاركة فى المسكن والاقامة . اما الحياة خارج المنزل فلكل سبيله وفقدت الزوجية بذلك الروح التى تحمل الرجل على طلب المرأة ، واحترامها ، والغيرة عليها .

ليس كل ما تدعو اليه الحضارة المادية المعاصرة خيرا للمرأة وخيرا للرجل . والاسلام يوم يدعو المرأة الى الاحتفاظ بخبرها وحياتها ، ويدعو الرجل الى ان يكرم المرأة لحظة يطلبها شريكة له فى حياته الاسرية ، معبرا عن هذا الطلب بما يسمى مهرا ••• يوم يجعل من المرأة مطلوبا للرجل على الدوام ، لا تتذلل ولا تتزلف له باقتحام بمال يسره ويحيط شخصه بما تجسم به من ثياب مواضع الاغراء فيها او بما تكشف من هذه المواضع .

ان التربية الحضارية الانسانية هى التى تأخذ فى اعتبارها بعد المرأة عن أن تصبح سلعة تدلل نفسها عليها ، وأخيرا تسلم فيها بأبخس الثمن ، وهو الازدراء والمهانة .

الماضى ليس شرا كله ، والحاضر ليس خيرا كله . والاسلام ليس رجمية اذ يطلب حياء المرأة والحفاظ عليه ، والمدنية المعاصرة ليست تقدمية اذ تدغو الى ابتذال المرأة وجعلها لعبة يتسلى بها الرجال مرة ويعرضون عنها اخرى .

\*\*\*

١٧٦ - ما رأى الدين فى الملابس التى ينبغى للمرأة العاملة او الطالبة ان ترتديها ، ولا تعوقها عن العمل ، ولا عن الحياة فى هذا العصر ؟

● طابع الحياة بالنسبة للمرأة فى هذا العصر لا يتغير من سنة الى اخرى فحسب ، بل من فصل الى آخر من فصول السنة الواحدة .

والتغيير فيما يتصل بملابس المرأة يعود الى فلسفة : « مدى الاغراء والتاثير على الرجل » عن طريق ما تترزين المرأة أو تترزين به فقد يكون الطابع هو من الملابس أو الشعر القصير ، أو القصير جدا ، أو الطويل منها . وقد يكون الألوان الباهتة أو الزاهية فيما تحصل به وجهها . وقد يكون الرموش الصناعية أو ازالة الحواجب وتخليط بديل عنها فى أشكال عديدة فى الاستدارة وقد يكون بجراحة التجميل فى الوجه أو الصدر أو فى مواضع أخرى من البدن . وهكذا . . . وهكذا . . . مما يتصل بقوة ( اغراء المرأة للرجل ) و ( انجذاب الرجل الى المرأة ) .

والعامل المسيطر على ما يطلب الآن للمرأة فى الحياة السياسية والاجتماعية من حرية تكاد تكون مطلقة ، أو ما تطلب هى لنفسها من تحرر كامل غير مشروط أو مقيد هو : أن تفعل بنفسها ما تشاء ، أو ما يشاء لها الرجل الذى يملى عليها خطوط الاغراء باسم « المودة » فتتبعها اتباعا لا انفكاك فيه ، بدت مع هذه المودة منسجمة وجذابة ، أو متنافرة وممسوخة .

والطالبة فى الجامعة ، والعاملة فى المصنع ، والموظفة فى المكتب فى الحياة المعاصرة لا تعفى نفسها اطلاقاً عن طريق انتسابها للجامعة أو عملها فى المصنع أو المكتب من محاولة التأثير على الرجل واغرائه فى صورة ما ، وبأى مدى فى التأثير والاغراء .

واذن هى فى حركتها لا تبتعد عن عوامل الحياة المعاصرة التى تكيف الجو للمرأة ، فى صلتها بالرجل ، وبجذب انتباهه وشد بصره اليها .

والدين فى نظرتهم الى صلة المرأة بالرجل يزدوج الأمر عنده :

(١) ينظر الى المرأة كزوجة فيطلب اليها أن تترزين ولكن لزوجها وحده :  
« ولا يبسدين زينتهن الا لبعولتهن » (١) . لأن القضية لديه هى قضية ( الانسجام ) بين الزوجين ، والمحافظة على الرغبة المتبادلة بينهما ، كذكر وانثى .

ويعنيه اذن فى الدرجة الأولى أن تكون المرأة كزوجة موضع اغراء لزوجها ، ولكن له دون غيره .

---

(١) النور : ٣١ .

وهنا الزوجة التي تهمل فى تزيين نفسها ، او فى تزيين بيتها ، او فى تزيين اولادها لا تلقى تأييدا من الاسلام ، فضلا عن الترحيب منه :

« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » (١) .

ونظافة البدن والثياب - كتنظافة البيت والاولاد - عنصر اساسى فى التزين . وكذلك عدم مسخ مخلوقات الله بالتبديل والتغيير عنصر اساسى فيه ايضا .

والاسلام اذ ينصح بتزين المرأة لزوجها يعطى اهمية كبيرة ايضا بعد ذلك لجانب السلوك والتهديب لديها . وایرز مقوم لهذا الجانب السلوكى هو : حرصها على اداء رسالتها كزوجة وكأم ، مما يجعل انتباهها حتما يتركز للزوجية والامومة معا ، دون رغبة جانبية فى محاولة لجذب انظار الآخرين ، عدا زوجها ، الى فتنتها واغرائها كامرأة وانثى .

(٢) وينظر الاسلام مرة اخرى الى المرأة ايضا كعضو فى مجتمع بشرى ، يراد له أن يكون مجتمعا سليما ، وان تكون هى مشاركة فى سلامته وقوة بنائه مشاركة ايجابية وذات اثر فعال ، على نحو مشاركة الرجل او اكثر . وفى الوقت نفسه يريد لها أن لا تلهو بنفسها وتستخف بقيمتها ، فتتخذ من ذاتها سلعة للعرض والافراء ، يحركها ربح الهوى من أى جانب يأتى ، ويخدعها الثناء الكاذب من عابر سبيل او شاخص متربص .

ولضمان مشاركتها الايجابية والبناءة فى قوة المجتمع وسلامته يطلب الاسلام اليها ان لا تقصد الى الوقوف بنظرها عند الرجال الاجانب عنها اذا مرت بهم ، او كانت لها حاجة لديهم تدفعها الضرورة الى قضائها منهم . على نحو ما يطلب من الرجل ازاء النساء الاجنبيات عنه .

وهذا ما يذكره امر القرآن فى قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » (٢) . وفى قوله « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن » (٣) . وغض البصر تعبير مهذب عن اخذ النفس بعيدا عن الاسترسال او الالاحاح فى تركيز البصر على الطرف الآخر لاشباع شهوة او لاثارة ميل غير عادى عنده .

(٢) النور : ٣٠ .

(١) الاعراف : ٣٢ .

(٣) النور : ٣١ .

وإذا طلب القرآن في آداب المجتمع الاسلامى « غرض البصر » من جانب الرجل وجانب المرأة على السواء على معنى : عدم الالاحاح فى تركيز النظر على الطرف الآخر لاشباع شهوة أو لاثارة ميل غير عادى لديه - محافظة على ايجابية المشاركة فى بنائه وفى قوته . . . فان الاسلام لا يرضى اطلاقا عن أن تقصد المرأة بما تفعله فى ملابسها ، وفيما تسميه بتجميل الوجه والشعر ، بغية اثارة الرجل الأجنبى عنها ومن غير محارمها أو شد بصره الى مواضع الفتنة والاغراء فيها . لأن ما تفعله عندئذ هو « التبرج » الذى نهى عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » (١) .

والجاهلية الأولى ليست زمنا معيننا فى تاريخ المجتمع البشرى . وإنما هى سمات المرحلة السابقة على حضارة المجتمع فى أى وقت وفى أى قرن .

وحضارة المجتمع الانسانى لا تقاس بالتقدم الألى والميكانيكى والعلمى وحده . وإنما أساس مقياسه هو التقدم فى مستوى الانسانية فى السلوك والتهديب والمعاملة والتعاون والتواد فى علاقات الأفراد بعضهم مع بعض .

وما يراه الاسلام من رأى فى « تزين » المرأة « و « تبرجها » - إذ يحل الأول لها بالنسبة لزوجها ويحرم الآخر عليها بالنسبة لغير محارمها - هو من سمات الحضارة الانسانية ، وليس من سمات الجاهلية السابقة عليها .

وطالما الحياة المعاصرة تعنى بعوامل الاغراء الجنى أكثر من عنايتها بالسمو الانسانى ، فهى لا تخلوا من سمات الجاهلية والبعد عن المستوى الحضارى . الانسانى فى أخص معانيه . ويبقى للإسلام بعد ذلك رأى الحضارى . وللحياة المعاصرة سمة التخلف فى المستوى الانسانى فى هذا الجانب .

\*\*\*

١٧٧ - اننى طالبة بأحدى الجامعات وأريد ارتداء الزى الاسلامى الذى يستر جميع البدن . ولكن والدى يمنعنى ، ويقول : ان الملابس الطويلة تدل على التأخر . فما رأى الدين ؟ .

● انك مؤمنة بالله - طبعاً - وبمبادئ دينه . ومن أهم هذه المبادئ احترام المرأة نفسها وعدم تعريض بدنها بالكشف عن مفاتنه للنظرة الجارحة

(١) الأحزاب : ٢٢ .

أو للهمسة الساخرة ، أو الدخول في مناقسة لا تكسب منها من قنبح ، وتذل فيها من تخفق .

ولا عليك اطلاقا اذا تمسكت بما تؤمنى به ، وان خالفت ما يسمى « بالمودة » . واعتقد أن الوالد ان يقول لك في هذا المجال : ان الملابس الطويلة تدل على التأخر ، يعنى فقط عدم تعرضك لسخرية بعض الزميلات أو زملاء . ولكن الانسان الذى يسخر من شابة تحافظ على حياثها وخفر ائورتها ، وعدم تعرضها للسقوط فى متاهات « المودة » وأخيرا على تحقيق هدفها من الجامعة وهو الدراسة والتحصيل ، وليس العرض لأزياء « المانيكان » وتوزيع الاغراء . هذا الانسان لا يبالي بظنرته فى الحياة . لانه يقف بيزه النظرة عند السطح والفافه الذى لا يجدى .

ان الانسان بايمانه بالمبادئ الاتساذية الكريمة - وهى مبادئ الاسلام - ويتطبيق هذه المبادئ فى حياته ويملى من شأن نفسه امام الآخرين الذين يسقطون فى « دنيا المتع » لانه يحافظ على كرامة نفسه . وكرامة الانسان - اى انسان - لا ترهب له من غيره ، واذا تستخلص بشاته . وليس من السهل استخلاصها الا لصاحب عزم وايمان بالله .

وقد كان على مشهود منى فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦ فى مدينة برلين بالمانيا منظر « لثلاثة طلاب مصريين سكنوا ثلاثتهم فى « بنسيون » اثر قدومهم من القاهرة للدراسة ، كانت تملكه سيدة المانية اقامت بطوان هنا ما يزيد على العشرين عاما ، وتعرف العادات المصرية .

كان أحد الثلاثة المصريين مقخرجا فى الأزهر ، وكان الاثنان الآخران ممن حصلوا على درجة الهندسة . وسبقاه الاثنان فى القدوم الى برلين والنزول فى هذا « المنزل » بمدة اسبوع . وشارك كل منهما بقية النزلاء من الألمان فيما يقدم لهم من طعام لحم الخنزير وشراب البيرة . وكان كل منهما يرى فى هذه المشاركة « تجديدا » . وثقنا . وكان كل منهما كذلك سعيدا بهذه المشاركة .

فلما حضر ثالثهم - وهو الأزهرى - ونزل معهم نكر لصاحبة « المنزل » انه لا يأكل لحم الخنزير ولا يتناول مشروبا روحيا وأنه يرجو ان يقدم له من الطعام ما يخلو مما حرمه الاسلام . واستجابت صاحبة المنزل - وكانت تتكلم العربية فى صورة تفهم .

وكان النزلاء فى المنزل جميعا يجتمعون على مائدة العشاء ، وكان

واضحاً أن الطعام الذي يقدم للطالب الأزهرى يختلف فى نوعه وطهيه عما يقدم للآخرين كلهم .

وفى مساء اليوم الثالث من قدوم هذا الطالب سال أحد الطالبين المصريين الآخرين صاحبة « النزل » فى صوت ينطوى على الاحتجاج : لماذا ينفرد هذا الزميل الجديد بطعام فوق مستوى الطعام الذى يعرض ، ولا يقدم لهما كذلك ، مع انهما من مصر ؟ .

وكان جواب السيدة / صاحبة البنسيون ينطوى أيضاً على مفاجأة لهما ، اذ قالت : ان هذا زميلكم الجديد احتفظ بكرامة نفسه لأنه تمسك بعادات بلده وتقاليدها فى الطعام فكان واجبا على أن اكرمه . أما انتما فقد حاولتما أن تكونا كبقية الألمان هنا ، وبذلك اندمجتما فيهم وضاعت شخصيتكما ، فلا ميزة لكما عندي .

انها سنة الطبيعة البشرية ان يحترم صاحب المبدأ ويوقر لمبدئه ، وأن الذى لا يملك المبدأ يتزلف لمن يملكه ليحفظ به توازن نفسه ، ويكمل به نقص عدم الثبات على المبدأ . فسيرى على بركة الله فيما تؤمنين به والله لا يشقيك بما تلبسين من زى يحفظ عليك مفاتن بدنك . وانما سيكرمك على الآخرين .



١٧٨ - فتاة تقول : عمري عشرون عاما ، ونشأت فى بيت متدين وحفظت القرآن ، وكان أبى يريد لى : ان اكون مثالا للفتاة المتدينة والقنوة : ولم اجرب الحب ، ولم أرض عنه .

غير أن زميلات لى حاولن اقناعى بالحب ، وقلن لى : انت شيخخة ، ودائمة معقدة للأمور . فما الحكم ؟

● ان التيارات الجارفة التى ترد عبر الصور التليفزيونية ، او المجلات المصورة ، من المجتمعات التى تقدمت فى الصناعة والتكنولوجيا المعاصرة ، وتنقل صور للحياة الفوضوية فى هذه المجتمعات ، وما تعبر به عن حرية المرأة ومدى تقدم حركة تحريرها . ان هذه التيارات لم تترك مجتمعا فى العالم الا واقتحمت عليه بصر الأفراد فيه بالقراءة ، وسمعه عن طريق رواية الخبر واشاعته .

وكل مجتمع من المجتمعات المعاصرة اليوم ملئ بالمتناقضات والأضداد ،  
ومزدحم بالصور التي تحاول أن تطفى على ما للمجتمع من تقاليد . بل تحاول  
أن تصور هذه التقاليد : بالتى عفى عليها الزمن ، وانتهى اعتبارها ، كما انتهى  
اعتبار الدين فى حياة اليوم ، قبل حياة الغد . والصراع العالمى بين  
الأيديولوجيات المختلفة والمتناقضة شد أنظار رجال السياسة وقادة المجتمعات  
اليه ، وشغل من نشاطهم ما يجعلهم غير قادرين على عمل شئ ما ، للمحافظة  
على تقاليد المجتمع ودينه ، ولغته ، وعاداته . وتلك هى التى تكون عناصر  
الشخصية المستقلة لأى مجتمع بشرى فى الحياة الانسانية العالمية .

● فزميلاتك اللائى ينصحنك بالحب ، ويتجربته ، تأثرن فى هذه  
النصيحة بما يقرآن فى روايات الحب ، أو بما يرونه فى المجلات المصورة ،  
أو يشاهدونه على شاشة التليفزيون ، أو يسمعه من أخبار من هنا ومن هناك ،  
عن مدى حرية المرأة ، وعن الحب والتجربة قبل الزواج . . الى غير ذلك من  
موضوعات الجنس .

ولكن فى واقع الأمر ما تاتى به حياة المجتمعات الصناعية الى مجتمعاتنا  
فى الشرق الاسلامى ليس كله نماذج يقتدى بها . وانما معظم ما يأتى من هناك  
فى ما يتصل بالمرأة وعلاقتها بالرجل ، ان عبر عن الازدهار الاقتصادى ، أو  
التفكك فى الروابط والملل من الحياة ، فانه يعبر عن محاولة التخلص من تقاليد  
الأسرة فى الزواج هناك .

فالتجربة الجنسية قبل الزواج ، فى فترة ما قبل الخطبة أو فى فترة  
ما بعدها ، الى ليلة الزفاف . . تعبر عن الخوف من رباط الزوجية ، الذى  
لا ينفصم أبدا ، وإذا انفصم يتدخل القضاء فلأسباب يشق توفيرها ، وقد يتخذ  
الزنا على مشهد من الشهود سببا للطلاق . ولكن فى حياتنا الاسلامية لا يشق  
الطلاق على الرجل ، ولا يشق الخلع على المرأة ، أن تضرر أحدهما ، دون  
الأخر بالمباشرة الزوجية .

والزواج الجماعى وتبادل الزوجات والمعاشرة الجنسية المستمرة غير  
المشروعة فى سرية أو فى علم للطرفين . . وما شاكل ذلك ، كل هذا يعبر عن  
التخلص من الزواج بوحدة ، يشق تطبيقها ، أو يستحيل الانقسام عنها .  
ولكن الاسلام فى مجتمعاتنا الاسلامية ان يجيز الزواج بأكثر من واحدة  
- ولكنه لا يوجبها ولا يفرضه - بشروط خاصة ، لا يجعل الرجل المتزوج فى  
حاجة الى الأخذ بفكرة الزواج الجماعى ، أو بتبني تبادل الزوجات ، أو يحمل  
على الاقدام على المعاشرة الجنسية المستمرة غير المشروعة .

● واذن : المرأة المسلمة ، والرجل المسلم ، كل منهما ليس فى حاجة الى حب ، بالمعنى المستورد من المجتمعات الصناعية . وبالتالي ليس فى حاجة الى اللهو والعبث بالآخر ، مما يفسد على كل منهما حياته المقبلة ، لو دخل فى زواج شرعى .

ان حياة المجتمعات الصناعية المعاصرة حياة انطلاق ، بعد ترف فى المعيشة والمتعة ، على حساب ما حصلته واغتصبته - فى كره أو فى رضا صورى - من المجتمعات النامية ، من مصادر الثروة القومية والبشرية لديها .

اما مجتمعاتنا الناهضة فهى الآن فى مرحلة بعيدة عن الترف ، وفساد المترفين . انها مرحلة بناء ، وكذا فى العمل وجهد فى السعى فى الحياة .

والأفضل للسائلة أن تبقى على احتياطها فيما يسمى بالحب ، وتقف بنفسها عند الكرامة الانسانية وعفاف المرأة ، وحياتها . فهذه هى مصدر قيمتها فى الحياة . وهذا هو ما يريد الايمان بالاسلام أن يقدمه للمرأة .

\* \* \*

١٧٩ - انى متخرجة من كلية الفنون التطبيقية هذا العام ، وكل متخرجة تبحث عن عمل لها . والاختلاط بين الجنسين سائد فى ميادين العمل .

فهل العمل حرام ؟

وهل ارتكبت حرمة بتعلمى حيث يوجد الاختلاط ؟ ، مع ملاحظة انى متمسكة بالملابس الحشمة .

● نسال الآن :

هل معنى « الاختلاط » بين الجنسين وجود الذكور والاناث فى محيط عمل عام واحد ، كل يؤدى واجبه فى رعاية فقط لأداء الواجب والعمل ؟

أم معناه وجود فرصة متاحة فى اجتماع خاص لتبادل النظرات بين الذكور والاناث ، وتبادل الحديث وعبارات الاعجاب والثناء ، ثم اللقاء والمداعبة ؟

ان أى عمل يأتى به الانسان - ذكرا ام انثى - فى مجال الواجب العام ، أو فى مجال الحياة الجادة ، أو فى مجال ضرورات كسب العيش فى الوظائف الرسمية ، سواء فى مواجهة الذكور للاناث والاثاث للذكور ، أو فى انفراد كل نوع على حدة ، هو عمل من شأنه أن لا ينطوى على اساءة لأحد . وهو بذلك مشروع .

فالاختلاط هنا فى هذا المجال - أى تواجد الجنسين على هذا النحو - ليس فى العادة مصدر عبث أو اساءة أو فساد . والمشارك فى هذا التواجد من النوعين لا اثم عليه ، طالما هو يمسك عن العبث والاثارة . والتواجد اذن فى ذاته بين الذكر والانثى فى مكان عام لا يحرم شرعا ، الا اذا ادى الى فساد أو ضرر لأحد . والمشارك فى هذا التواجد من الصنفين لا تثريب عليه ، ما دام لم يسيء بالفعل الى نفسه أو الى غيره ، أو يضرر الاساءة لأحد سواء .

ولكن الاختلاط بمعنى الفرصة الخاصة المتاحة لغير العمل الجدى ، ولهدف الحصول على متعة مؤقتة عن طريق التحادث أو تبادل النظرات وعبارات المديح ، فانه غير مأمون العاقبة . أى انه قد يكون سبيلا للأذى لأى من الجانبين . وقد يكون اذى أكبر من أن يتحملة الفتى أو الفتاة . ولذا فهو مظنة الضرر ، وما كان مظنون الضرر أولى تجنبه . ومباشرته بما ينطوى عليه من خطر - ولو مظنوننا - غير مباح .

والاسلام لا يساير ما يأتى به الزمن فى وقت من الأوقات من اتجاه يدعى له : « اتجاه عصرى » فى علاقة الرجل بالمرأة ، أو بما تتخذة المرأة من موقف فى سلوكها نحو الرجل ، يوصف مثلا بأنه موقف تحررى . . . الاسلام لا يساير هذا ولا ذاك ، لأن ما يراه الاسلام نفسه مرتبط بنظرة معينة : هى المحافظة على كرامة المرأة وأمنها ، وعلى جدية الأمر فى علاقة الرجل بها ، ومسئوليته فيها مسئولية واضحة .

فاذا ارتضت المرأة لنفسها أن تتنازل عن هذه النظرة فى علاقتها بالرجل وتبيح لها ما حرمه الاسلام عليها ، فلا تكفى الآن للاسلام اللوم ، وتلقى عليه التهم جزافا . وانما تأخذ سبيلها التى ارتضته ، وتترك الاسلام لشأنه : « يمتنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان » (١) .

● فاذا شاركت السائلة الآن من أجل كسب العيش فى مجال عمل عام ،

(١) الحجرات : ١٧ .

أو في دراسة مفتوحة من أجل تحصيل التعليم فهي لا ترتكب ذنبا . وبالأخص أنها أبعدت عنها كونها مصدرا لاثارة الرجل واغرائه بمفاتها ، لأنها - كما تذكر - ليست متبرجة بملابسها ولا بزینتها .

الاسلام ينصح المرأة بالتزين والتجميل لزوجها وداخل بيتها ، ولكن ليس للتبرج خارج منزلها في الطرق العامة . الاسلام يتيح للمرأة أن تتعرف الحياة وأن تتعلم لتكون كاملة النضج في حكمها وفي أمومتها وفي زيجتها ، ولكن ليس لتتوزع نفسها على الآخرين . الاسلام يريد أن تكون لها حرمة في خصوصيتها ، ولا يريد لها أن تكون شائعة عديمة الحرمة .

وتغير الزمان أو تغير الاتجاهات في حياة الانسان تحت التأثير بعوامل معينة لا يحكم على الاسلام . وانما سيظل هو يحكم عليها لأنه من الله ، وماعاده فهو من الانسان المتردد والمتقلب .

\*\*\*

١٨٠ - اننى طالبة بكلية الطب وأودى فرائض الله . ولكنى ألبس الملابس القصيرة فوق الركبة وليس على رأسى غطاء ، وذلك مجازاة « للموضة » فى المجتمع . ولكنى ألبس جوربا ثقيلًا . فهل يعنى عن الملابس الطويلة ؟

● الجورب الثقيل اذا كان محدد للجسم فهو كاشف عن سماته وميزر لمفاته . وهو بذلك لا يعنى عن الملابس التى تستره . والجورب الثقيل اليوم مع الملابس القصيرة جدا فوق الركبة هو من « موضة ، الأزياء ، كالمسروال الملائق للبدن سواء ، قصد بكل منهما إبراز ما يغرى فى جسم المرأة ، مما يشير الرجل فى علاقته بها .

وفرائض الله التى شرعت من صلاة ، وزكاة ، وصوم هى لاعداد الانسان بحيث لا يقع تحت تأثير الاتجاه المادى . وهو ذلك الاتجاه الذى يخضع الانسان لشهوته وهواه والمتع المادية وحدها فى الحياة . . هى لتوجيه الفرد بحيث يعيش انسانا محتفظا بكرامته الانسانية وبقيمه العليا فى الحياة التى تمثل الانسانية خير تمثيل .

وإذا كانت الصلاة هى لتذكير المصلى بربه فى الوجود ، كى يحول تذكره لله دون الاستغراق فى الحياة المادية ، فالصوم هو للامسك وللحرمان مما هو متع وملذات مادية . وليس الصوم هو امساكا عن اغراء ما يؤكل أو يشرب فقط . وانما هو كذلك امساك عما يغرى فى لغو الحديث أو الخوض فى

أعراض الناس أو في اتباع أزياء الموضة للمرأة • والزكاة قصد بها تعلم  
العطاء للآخرين ، والحد من الأنانية في الاقتناء والادخار ، حتى لا يقع الانسان  
تحت اغراء المال وقتنته ، فيعبده وينسى نفسه والآخرين معه في أسرته  
ومجتمعه •

ومن هنا نرى : أن أداء فروض العبادة في الاسلام ليس أداء شكل  
ومظهر • وإنما هو أداء التزام بسلوك معين أو بموقف معين • في الحياة  
وبتفكير معين •

والمسلم الذي يجمع بين النقيضين في سلوكه : يصلى ، ثم يقتل ، أو  
يزنى ، أو يسرق ، ويصوم رمضان ثم يلغوا في أعراض الناس بالباطل ويسء  
بالوشاية للآخرين ، ويمعن في انتهاك حرمة الانسانية •• فيعرض نفسه في  
سوق السلع البشرية « اللى ما يشترى يتفرج » باسم المردة وأحدث الأزياء ،  
ويزكى ثم يعوض زكاته من مال اليتيم واكل أموال الناس بالباطل ••• هذا  
المسلم يقف عند شهادة : لا اله الا الله ، ولم يدخل بعد مجال التطبيق العملى  
للايمان بالله وبرسالة الاسلام •

الاسلام هو التزام بخط معين في التفكير ، وفي السلوك ، وفي العمل •  
هو خط الاستقامة أو خط الانسانية • والالتزام بهذا الخط لا يفرضه أحد على  
أحد • وإنما تفرضه مشيئة من امن باختياره • فلا اكراه في الدين • ولكن يوم  
يدخل الانسان بارادته يلزم نفسه بمبادئه ، ويصبح مسئولاً عن تنفيذها أمام  
الله وحده • والانسان يوم يؤمن بالله ويؤدى أمانة الايمان يخدم نفسه وليس  
أحد سواه : « يمتنون عليك أن اسلموا ، قل : لا تمنوا على اسلامكم بل الله  
يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين » (١) •

\*\*\*

١٨١ - لى خمسة من الاخوة في مراكز محترمة ، ولى اختان معهم • ووالدتي  
شديدة القسوة علينا نحن البنات ، وبالأخص أنا • تزوجت المرة  
الأولى ، وتسببت هى نى طلقى • وتبالغ فى ايدائى وتشويه صورتي  
عند الناس ، رغم أنى لا أقصر أبدا فى خدمتها وخدمة أبى • ورغم  
هذا فهى تسومنى سوء العذاب ، تاركة اخوتى الرجال يتمتعون  
بمرتباتهم وتحرمنى من مرتبى • وأخيرا تزوجت مرة أخرى وبعدت  
عنها كل البعد ، مقاطعة أياها • فهل هذا حرام ؟

● يبدو أن الوالدة فى معاملتها اياك على هذا النحو مما تصفينه :

(١) الحجرات : ١٧ •

« بالقسوة وسوء العذاب » هو تعبير منها عن حرصها الشديد عليك وعلى مصلحتك الخاصة . والتفاتها اليك بالذات يدل على انها ترى فيك بعض « النزق » أو « الهوج » فى التصرف ، مما يسميه بعض الناس « خفة » ، أو « طيشا » . فهى تريد أن تكون بجانبك حتى تلتزمى طريقا فى الحياة يجعلك زوجة ذات كرامة يحترمها زوجها قبل أن يحترمها الآخرون . وهذا الطريق هو طريق : التؤدة « وعدم التسرع فى القبول أو الرنض أو الحكم على الشيء ، على العموم .

وليس لديها كأم أى باعث آخر يحملها فى بعض الأحيان على أن تقسو عليك سوى الحرص على مصلحتك . وفشل زواجك فى المرة الأولى لا يعود الى والدتك وحدها . وإنما القسط الوفير فى أسبابه يعود عليك بسبب تصرفك . ليست هناك أم - إلا اذا كانت مجنونة أو شديدة الحمق - تسعى فى طلاق ابنتها وهى مستقرة وسعيدة فى زواجها . وإنما قد يحصل أن يمتدّن الزوج عديم الضمير زوجته باغلاظ القول لها ، وبإساءة معاملتها ، أو بتخديها بعلاقة جديدة مع امرأة أخرى جبارا . مستغلا مرتبتها أو مالها فى انفاقه على شؤون المنزل ، ومستغلا كذلك علاقتها به وارتباطها ارتباطا شديدا بشخصه ، رغم ما تلقاه منه من عنف وسوء معاملة ، فهى فى هذا الوضع تنفق على منزله وفى الوقت نفسه تمتهن فى كرامتها كأنسان ، وكامرأة . وليست هذا حياة زوجية . إنما هى حياة الرقيق الأبيض .

فإذا أنت تزوجت الآن للمرة الثانية فلمصلحتك أنت أيضا أن تكونى على اتصال بأسرتك وبالأخص والدتك . فان الأم - كما يقال - سر ابنتها . أى هى الأمينة على سرها . ومهما كانت هناك من أسرار بينك وبين زوجك فان أمك لها مكان فى أسرارك لا يشنله سواها .

ومقاطعتك اياها لا تجديك نفعا . ثم هذه المقاطعة من جهة أخرى اجحاف بالرعاية المفروضة للوالدين من أولادهما . فإذا كان قد جاء فى القرآن قوله تعالى : « ٠٠٠ فلا تثقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب : ارحمهما كما ربياني صغيرا » (١) ٠٠٠ فينهى عن جرح احساس الوالدين بكلمة : « أف » أو بالاغلاظ لهما فى القول ، ويأمر بالقول المهذب الكريم فى مجادلتها ، وبالطاعة ، والدعاء لهما بالرحمة ٠٠٠ اذا كان قد جاء فى القرآن هذا فان

(١) الاسراء : ٢٢ - ٢٤ .

مقاطعة الوالدين من أعنف ما يوجه إليهما من لوم معنوى ، وأشد ما يكون فى معاملتهما والتفكر لفضلهما وجميلهما .

على السائلة أن تغير تصورها عن الماضى فى المعاملة ، وأن تبتدىء تفهم والدتها من زاوية : أنها كانت حدية عليها وراعية لمصلحتها ، ولم تضمر لها اساءة ما . فإذا تغير هذا التصور عادت المياه الى مجاريها وكانت الصلة بدل المقاطعة والتودد بدل الجفوة .

\*\*\*

١٨٢ - أمتك منزل وأوجره مفروشا الى بعض الطلبة والموظفين . وقد لاحظت أن بعض السكان يحضرون فى مساكنهم بعض النساء . فهل الإيجار الذى أتسلمه منهم حلال أم حرام ؟ وخصوصا أنا أذكر جزءا منه لأداء فريضة الحج .

⊙ إذا كان السائل يعلم مقدما عند توقيع عقد الإيجار أن المستأجر سيستغل السكن لاستقدام بعض النساء عنده فى سكنه ، فهو معين له على ارتكاب المنكر . ومال الإيجار الذى يأخذه منه مال حرام ، لا يجوز أداء فريضة الحج منه . وأن علم بعد توقيع العقد أن بعضا ممن استأجروا هذه المساكن المفروشة من الطلاب أو الموظفين يباشرون ارتكاب الموبقات فيما تخصص به من مسكن فإن للسائل عندئذ أن يفسخ العقد ويخلى السكن من هذا البعض . فإن المساكن المفروشة يجوز اخلاؤها بحكم القانون بناء على طلب المؤجر . وما أخذه من إيجار فى غيبة علمه بارتكاب المنكر لا وزر فيه عليه ويجوز أداء الحج منه .

ولا يكتفى للسائل - وهو صاحب الملك المفروش - أن ينكر هذا المنكر بلسانه أو بقلبه ، كأن ينبه على الساكن مثلا بعدم احضار أحد من النساء عنده ويحذره ، أو أن يسكت غاضبا النظر ، فى غضب نفسى من هذا التصرف . لأنه يملك أن ينكره بيده فينذره بالاخلاء : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

وهذا المنكر الذى يمارسه بعض الطلاب أو الموظفين الشبان على نحو ما يذكر السائل لا ينبغى له أن ينتشر فى مجتمعاتنا فيصبح مرضا اجتماعيا فيها يهدد كل نشاط جدى وكل موقف يتطلب التضحية ، بخطر « اللامبالاة » وعدم الشعور بالسؤولية أمامه .

ان مجتمعاتنا مجتمعات ناهضة • اى انها كانت ضعيفة فاخذت تسعى نحو القوة • وهى قوة العزيمة والارادة ، قبل قوة البدن والعضلات والانتاج • فاذا اصببت بهذا المرض الوبائى ، وهو مرض التحلل من القيم العليا •• مرض انتشار جريمة الفحشاء وتناول السكر ، يكون خروجها من الضعف الماضى امرا مشكوكا فيه ، بل ربما يزداد ضعفها وهنبا •

ومن يساعد الشباب من الطلاب او الموظفين على الاستمرار فى الضعف لا يجنى فحسب على المجموعة منهم التى تباشر المنكر بالطريقة التى يتحدث عنها السائل ، وانما يجنى على الامة ككل •

والمجتمعات الأخرى التى اصببت بلوثة هذا المرض الاجتماعى هى مجتمعات اتخمت من استغلال الشعوب الأخرى ولها رصيد حتى الآن من الغنى المادى والقوة المادية ، يؤخر انهيارها الى حين • ولذا لا يبدو عليها الضعف ، وان أخذ يدب فى شرايين الحياة فيها • وهى فى طريقها الى هذا الانهيار ، لأنها تؤمن « بالمادية » وحدها • والمادية هى شر ما يبئلى به المجتمع البشرى : « واذا ادركنا ان نهلك قرية ( اى مجتمعا ) امرنا مقرفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » (١) •

وما يتعلل به بعض الاجتماعيين مما يسمى « بالكبت الجنسى بين الشباب » ، فليس الا تعلقا بما بقى من تفكير « فرويد » : العالم اليهودى النمساوى • وهو تفكير لا يردده الا الملتزمون من الماديين بتفكير القرن التاسع عشر •

والشباب فى مجتمعاتنا أمامه مهمات ورسالات وطنية ، لا تدع له وقتا لمجاراته شباب المجتمعات الأخرى فى فسقها ومفاسدها •

\*\*\*

---

(١) الاسراء : ١٦ •

# محتويات الكتاب

## الجزء الثاني

رقم الصفحة	الموضوع
من ٣ الى ٧٣	الفصل الأول : فى محيط التقاليد . . . . .
من ٧٥ الى ١٠٢	الفصل الثانى : فى محيط العمل - والمال . . . . .
من ١٠٣ الى ١١٥	الفصل الثالث : فى العلاقات بين الأفراد . . . . .
من ١١٧ الى ١٤٨	الفصل الرابع : فى شئون الحضارة المعاصرة . . . . .

## كتب للمؤلف

طبعة

- ١ - الجانب الالهي من التفكير الاسلامي
- ٢ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي
- ٣ - الفكر الاسلامي في تطوره
- ٤ - الفكر الاسلامي المعاصر - مشكلات الأسرة والتكافل
- ٥ - الفكر الاسلامي المعاصر - مشكلات الحكم والتوجيه
- ٦ - الدين والحضارة الانسانية
- ٧ - الاسلام في حياة المسلم
- ٨ - الدين والدولة - من توجيه القرآن الكريم
- ٩ - رأى الدين بين السائل والمجيب - جزء ١
- ١٠ - خمس رسائل للشباب المسلم المعاصر
- ١١ - تهافت الفكر المادي التاريخي
- ١٢ - الاسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر
- ١٣ - طبقة المجتمع الأوربي وانعكاس اثارها على المجتمع الاسلامي المعاصر
- ١٤ - تفسير سورة الأعراف
- ١٥ - تفسير سورة الجن
- ١٦ - تفسير سورة الصافات
- ١٧ - الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة
- ١٨ - من مفاهيم القرآن الكريم - في العقيدة والشريعة  
تحت الطبع :
- ١ - منهج القرآن في تطوير المجتمع
- ٢ - تفسير سورة الأنعام
- ٣ - تفسير سورة النحل
- ٤ - تفسير سورة الشعراء
- ٥ - تفسير سورة المؤمنون
- ٦ - تفسير سورة يونس
- ٧ - نحو ٠٠ القرآن
- ٨ - غيوم تحجب الاسلام
- ٩ - عالمية الثقافة في القرن السادس الهجري